بالهجوم الاستباقي على دول عربية. ولكن حصول مثل هذا الامر يتوقف، أولاً وقبل أي شيء آخر، على تصوّر صانعي القرار للتهديدات والاخطار المحدقة باسرائيل، ولحسابات الربح والخسارة من القيام بهذا الهجوم.

ان حيازة الصواريخ القادرة على حمل رؤوس متفجّرة وايصالها الى أهدافها من شأنها ان تضعف الردع، وتضعف، في الوقت عينه، القيود على التوجهات العسكرية التصعيدية، لأن الخوف من نتائج التعرّض للهجمات بالصواريخ يعزّز الحافز على القيام بالهجوم الاستباقي على القوات المعادية. وبالطبع، فان تعزيز الحافز على القيام بالهجوم الاستباقي مردّه خواص الصاروخ المادية، ذلك ان الصاروخ ـ باستثناء حالة العطل ـ فور اطلاقه من شأنه ان يصل، يقيناً، الى هدفه بصورة تقريبية، اذا لم تطلق باتجاهه صواريخ مضادة. وبالتالي، فان الطريقة المثلى التي يمكن بها لدولة ما (دولة أ) ان تحمي نفسها من صواريخ دولة أخرى (دولة ب) هي في تدمير منصّات ووسائل اطلاق تلك الصواريخ قبل اطلاقها. وبالنظر الى ان الضربة الاستباقية من جانب (دولة أ) من شأنها ان تدمر قدرة (دولة ب) على الانتقام، فان الدولتين (أ وب) سوف تكونان متأثرتين، في خلال أزمة من الازمات، بالمنطق المألوف المتمثّل في القول: «إما ان تستخدم الصواريخ أو ان تفقدها».

ويمكن لهذه الضربة الاستباقية ان تجرى من طريق القصف الجوي، أو الهجوم بصواريخ سطح ـ سطح، أو جو ـ سطح على مواقع الصواريخ المعادية. وعلى سبيل المثال، أدلى المدير العام لمكتب رئيس الحكومة الاسرائيلية، يوسي بن أهارون، في العام ١٩٨٨ ببيان أشار فيه الى ان اسرائيل، في أي حرب قد تندلع في المستقبل، سوف تقوم بالعمل الاستباقي ضد منصّات اطلاق الصواريخ في السعودية[٢].

ولا ريب، فان عرض تصوّر ردود الفعل المتبادلة بين الدولتين (أ وب)، يبيّن ان بعض الدول المتنازعة، والمسلّحة بصواريخ باليستية لا تحتمل الغموض في علاقاتها العسكرية. كما ان الكثير من منظومات الصواريخ ذات القواعد البرية الثابتة في المنطقة يشكّل اغراء للقيام بضربة استباقية لها، ذلك ان اعادة تركيبها يتطلّب فترة طويلة، لاعتبارات عدّة، لعلّ أهمها انها تعمل بالوقود السائل، وبذلك يظلّ ثمة خوف متبادل في العمل العسكري الاستباقي، وهذا نقيض للاستقرار.

ان التحدي القائم للاستقرار المتأصل في الطابع التقني للصواريخ، يزيد من تفاقمه خطر الاستخدام غير المقصود أو غير المرخّص به، النابع من حادث مفاجىء أو تحذير خاطىء أو ربما الافراط في لامركزية القيادة، أو حتى تعطّل نظم القيادة والتحكّم والاتصالات.

من هنا، فان اغراء القيام بعمل عسكري استباقي ضد صواريخ الخصم الباليستية ربما يدعمه التقدير بأن تدمير هذه المنظومات، في ما بعد، ـ أي بعد الشروع في العمليات العدائية ـ قد يكون أكثر كلفة. كما ان تحديد مكان منصّات الصواريخ أصعب في ظروف «ضباب المعركة»، وبعد ان يكون الطرف المعادي اتخذ اجراءات لمنع استهداف واصابة هذه الصواريخ. ويمكن لهذه الاجراءات ان تتمثل في تحريكها، وفي الاستخدام المكثّف للأشراك التي تستخدم في اجتذاب الصواريخ المعادية وحرفها عن أهدافها الحقيقية. أضف الى ذلك، ان شروع الخصم بالحرب من شأنه ان يولّد قيوداً جديدة على قدرة الطرف الآخر على حشد الموارد المتاحة اللازمة لتدمير منصّات صواريخ الطرف المعادي، وصواريخه الموجودة في المخازن، مما يعزّز الحافز، أكثر فأكثر، على القيام بالعمل العسكري الاستباقي.